نحنُ والبُنيويّة

ثلاث ترجماتٍ عربية عن البُنيويّة

○ د. عبدالنبي اصطيف

نحنُ والبُنيويّة

ثلاث ترجماتٍ عربية عن البُنيويّة

د. عبدالنبي اصطيف

● **قبل البدء .**

من يخاف البنيوية ؟

لا اظن ان ثمة الكثيرين ممن يخافونها بين صفوف المثقفين العرب المعاصرين . إنها لم تعد اليوم عويصة ولا عصية فيما يبدو على أي منهم ، وليس هناك من يرهب جانبها ، على الرغم من أن لها خصومها وانصارها وآثارها اللافتة في مجالات العلوم الانسانية المختلفة . لقد فرضت البنيوية نفسها على الفكر العربي المعاصر ، كما يشهد بذلك واحد من كبار مستلهميها ومترجميها وناشريها الدكتور جابر عصفور (١) . بل غدت اليوم « موضة » بين مثقفينا ، حقيقة من حقائق حياتنا لا سبيل الى تجاهلها بأي شكل من الاشكال .

إن اي متتبع للمشهد الثقافي المعاصر يستطيع أن يتبين بسهولة أن :

✱ **نصوصاً كثيرة (٢)** لليفي شتراوس ، ورولان بارت، ولوي التوسير، ولوسيان غولدمان وتزيفتان تودوروف ، وجيرارد جينيت ، وجوليا كريستيفا ، وميشيل فوكوه ، وجاك ديريدا ، ورومان جاكبسون ، والشكليين الروس قد نقلت على مدى العقدين الاخيرين الى قراء العربية كتبا ظهرت في مشرق الوطن العربي ومغربه ، ومقالات توزعتها مجلات هامة مثل **الثقافة الاجنبية** ، **والاقلام** ، **وآفاق عربية** (في بغداد) ، **والمعرفة** ، **والموقف الادبي** ، **والآداب الاجنبية** (في دمشق)، **وعالم الفكر** وغيرها (الكويت) ، **وفصول** ، **والكاتب** ، **والف** ، وغيرها (في القاهرة) ، **ومواقف، والفكرالعربي، والفكر العربي المعاصر، ودراسات عربية** وسواها (في بيروت)، **والحوليات، التونسية** ، **والحياة الثقافية** ، **والقلم** ، **والفكر** ، **وفضاءات مسرحية** (في تونس) ، **والثقافة الجديدة** ، **وآفاق** وغيرهما (في المغرب) ، **والكرمل** (في بيروت ثم في قبرص) وسواها من المجلات الاضيق انتشارا في الجزائر وليبيا ودول شبه الجزيرة العربية والسودان .

* **وأن نصوصا كثيرة لدارسي البنيوية (٢)** من امثال جان بياجه ، وإديث كورتسفايل وروبرت شولز ، وجوناثان كولر ، وتيرانس هوكس ، وأوزياس ، وغيرهم قد ترجمت الى العربية ووضعت في متناول القارىء العربي هذه الحركة (أو الاتجاه أو سمها ما تشاء) بتاريخها وأعلامها وسياقها ومختلف اهتماماتها .

* **وأن كتبا ومقالات لا تكاد تحصى** ـ متفاوته في مستواها ـ **يكتبها العرب (٢)** من أمثال كمال أبو ديب ، وجابر عصفور ، وفؤاد أبو منصور ، وجمال شحيد ، وعبد الله الغذامي ، وهاشم صالح ، ويمنى العيد وسواهم يدجنون من خلالها البنيوية للقارىء العربي ويقدمون له أعلامها وآثارها ومفاهيمها الاساسية .

* **وأن الكتب والمقالات العربية التي تستلهم البنيوية وما بعد البنيوية (٢)** Post - stracturalism **جزئيا او كليا** (مثل أعمال أبو ديب ، وجابر عصفور ، ومحمد بنيس، وسعيد علوش ، ومحمد برادة ، وعبد الكريم حسن ، والياس خوري ، ويمنى العيد ، وغيرهم) في ازدياد مستمر يتلقاها القراء العرب باهتمام جيد وقبول حسن ، وحماسة متصلة .

* **وأن محاولات عديدة يقوم بها العرب من الاجيال المختلفة من أجل تجذير البنيوية في الفكر العربي بالبحث عن أصول عربية كلاسيكية (٣)** (لدى عبد القاهر الجرجاني وسواه) لهذا النحو من التفكير الشائق والشائك والمثير في آن معا .

وسواء انظرت الى البنيوية على انها نظام فكري متماسك ؛ أو على انها مجموعة من الافكار المستلهمة من اللغويات الحديثة ؛ أو على أنها اتجاه في النظر الى العالم واستيعابه ؛ أو على انها نظرية شاملة ؛ أو على انها مجرد تقليعة عابرة ، فانها ، مثلها مثل أية نظرية ، أو فكرة ، وتبعا لسنة التفاعل الحضاري بين الثقافات والامم في عصرنا هذا ـ عصر التواصل الوثيق فيما بينها ، حتى لكأن العالم قد تحول اليوم الى قرية صغيرة ـ تنتقل من « شخص الى شخص ، من حالة الى حالة ، من فترة الى أخرى » ، من مكان لآخر . وهي بانتقالها وحركتها تغني الحياة الثقافية وتغذيها على حد تعبير ادوارد سعيد . إن حركة الافكار والنظريات بين الامم والشعوب والثقافات والاشخاص ، **« سواء أتخذت شكل التأثير المعترف به ، أو التأثير اللا واعي ، الاقتراض المبدع ، أو الاستحواذ الكامل ... هي في آن معا حقيقة من حقائق الحياة وشرط مساعد على نحو مفيد على النشاط الفكري »** . (٤) .

بل إن البنيوية مثل اي وافد أجنبي ، في عصر التواصل الذي نعيشه ، أمر جد طبيعي . إن التفاعل بين الثقافات المختلفة ، أو انفتاحها بعضها على بعض ، هو ، اذا ما استعرنا عبارة محمد عبد الحي **« كالريح الذي تستثير جمرا كامنا في رماد .. حين يتراكم هذا الرماد لضعف يصيب** الثقافة أو الشعر في فترة ما » إنه مثل **« السماد الذي يساعد في ازدهار النبات ، ولعله أحيانا . عنصر ضروري لهذا الازدهار »** (٥) .

ولكن حتى تكون البنيوية هذا الشرط المساعد على النشاط الفكري في ثقافتنا العربية المعاصرة . وتلك الريح التي تستثير الجمر الكامن في هذه الثقافة ، وذلك السماد الذي يرجى له أن

يساعد في ازدهار فكرنا ، فان علينا أن نتأكد أولا من هوية هذا الذي يصلنا . فمهما كان رأي المرء في البنيوية ، وفي مدى حاجتنا اليها ، ومدى ملاءمتها لفكرنا ، فلا أظن أنه يمكن أن يماري في أننا ينبغي أن نتصل بالبنيوية كما هي حقيقة . أي ألا تصلنا مشوهة ، أو منسوخة ممسوخة ، أو مدجنة ، حتى نستطيع أن نحكم على مدى قابلية الافادة منها . وعلى ذلك فان سلامة استقبالها وتلقيها ، من الامور الهامة التي يمكن أن تفضي الى سلامة فهمنا لهـا ، واستيعابنا لجميع تضمناتها ، وبذا يمكن أن نفيد منها ومن هذه التضمنات .

لقد انتقلت البنيويـة الى الفكـر العربي المعاصر وغدت حقيقة من حقائق الحياة العربيـة المعاصرة ، يشهد على ذلك هذا الانتشار الهائل لها والذي عرضت مسح طائر محلق له في مقدمة هذه السطور . ولا شك أن الترجمة كانت ، ولا تزال ، من أهم سبل انتشارها بين صفوف القراء العرب وخاصة الذين لا يحسنون اللغات التـي استخدمها أعلامها ؛ وأنها بوصفها هذه الاداة الخطيرة في نقل الافكار والنظريات ينبغي أن ينظر في سلامة إجراءاتها وممارستها . إن أي دارس للتأثير البنيوي في الفكر العربي المعاصر لا يمكن له أن يغض طرفه عن سبل انتقال هذا التأثير الى المشهد الثقافي العربي ، وبالتالي فان عليه أن يدرس هذه الاداة : طبيعتها ، وسلامتها ، ومن ثم حصيلتها في إتاحة فرصة الاحتكاك بفكر اجنبي احتكاكا إيجابيا يقوم على أسس سليمة .

ولما كان إنجاز أمر كهذا غير ممكن في دراسة محدودة ، فقد رأيت استخدام العينات سبيلا للابانة عن مدى سلامة هذه القناة الهامة من قنوات الاتصال بالكتابات البنيوية . وهكذا عمدت الى دراسة ثلاث كتب ، ربما كانت من أهم الكتب التي نقلت الى العربية في الثمانينات على البنيوية، قام بنقلها مترجمون من عدة أقطار عربية هي (سورية ، ومصر ، والعراق) وظهرت في دمشق وبغداد والرباط ، فتيسرت قراءتها بذلك لجمهور كبير من القراء العرب في مشرق الوطن العربي ومغربـه .

فأما الكتب الثلاثة فهي مرتبـة حسـب تاريخ ظهورها :

١) روبرت شولز(٦) ، **البنيوية في الادب** ، ترجمة حنا عبود ، منشورات اتحاد الكتـاب العرب (دمشق) ، ١٩٨٤ .

٢) إديث كيروزيل (٧) ، **عصر البنيوية من ليفي شتراوس الى فوكو** ، ترجمة جابر عصفور، الطبعة الاولى ، بغداد ، ١٩٨٥ .

الطبعة الثانية ، منشورات دار قرطبـة للطباعة والنشر ، الدار البيضاء ، ١٩٨٦ .

٣) ترنس هوكـز (٨) ، **البنيويـة وعلـم الاشـارة** ، ترجمة مجيد الماشطة ، ومراجعـة د. ناصر حلاوي ، سلسلة المائة كتاب، منشورات دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦ .

وتنبع أهمية هذه الكتب العينات من كونها من إنتاج العالم الانكلو ـ أمريكي الـذي تأخـر نسبيا في حواره مع البنيوية ، التي ما زالت الهالة الفرنسية طاغية عليها ، إذ ظلت عصية على قارىء الانكليزية حتى نشر جوناثان كولر كتابه «**الشعرية البنيوية : البنيويـة ، واللغويـات ، ودراسـة الادب**» (٩) . عام ١٩٧٥ في انكلترا وأمريكا في

آن معا ـ هذا الكتاب الذي كان نقطة تحول كبرى في مصير البنيوية وانتشار تأثيرهـا في النقـد الانكلو ـ أمريكي الذي تمثلها بالتدريج ودجنها وحاول تجاوزها من خلال المظاهر المختلفة للنقد ما بعد البنيـوي Post-struturalist Criticism والتي تشـترك جميعـا في استلهامهـا للفكـر الاوربي (١٠) . ومعنى هذا أن هذه الكتب هي إنتاج فكر نقدي يقف أساسا موقف الناقد المميز من البنيوية . وهو إذ يحاول أن يدجنها لقرائه فانه يسعى الى موضعتها في سياق أوسـع من الفكر النقدي الاوربي في القرن العشرين ، خاصة وأن ثمة ما يشبه الاجماع ما بين النقاد الامريكيين المعاصرين على أن السبيل الوحيد للخروج مـن الطريق المسدودة التي وضـع النقـد الجديـد الدراسة الادبية فيها ، هو التفاعل مع هـذا الفكر تفاعلا مجديا .

وربما كان من الجدير بالذكـر أن كتابين **اثنين من هذه الكتب** (شولز وهوكس) يحاولان تقديم البنيوية الادبية لقارىء الانكليزية من منظور تاريخي يلتمس جذورها اللغوية لدى سوسير ، وتجلياتها المختلفة في موسـكو وبتروغراد ، وفي براغ ، وفي باريس ، في حين يقدم الثالث منها مدرجا واسعا من البنيوية الفرنسية أساسـا ، وخاصة في عقدها الذهبي ، وهو عقد الستينات ومن خلال منظور شـامل ومتداخـل المتعارف وآني ، يحكمه توجه عالم اجتماع معني أساسا بالعلوم الانسـانية Humanities .

* * *

● **القسم الاول :**

ملاحظات طائر محلق :

١ ـ شولز وعبود .

واذا ما شاء المرء أن يقدم ملاحظات طائر محلق على هذه العينات الثلاث فانه يمكـن أن يشير الى أن أولها وهو كتاب روبرت شـولز Robert Scholes اختيار موفق جدا للمترجم إذ أنه من أيسر الكتب التي تناولت البنيويـة الادبية في العالم الانكلو ـ أمريكي وأكثرها شيوعا بين طلاب الجامعـة والمهتمين بشؤون النقـد الحديث . وعلى الرغم من أن كتبا أخرى عديدة قد ظهرت بعده (ظهر الكتاب أول ما ظهر عـام ١٩٧٤) الا أنه ما زال مقروءا على نحو واسع . ذلك أن صاحبه روبرت شولز : أسـتاذ الادب الانكليزي والمقارن في جامعة براون في الولايات المتحدة الامريكية ، من الشخصيات البارزة جدا في عالم النقد الامريكي المعاصر الذي خلف النقد الجديد . وقد صدر له بعد كتابه هـذا كتابان آخران على درجة كبيرة من الاهمية واليسر ، ظهر كلاهما في طبعة ذات غلاف ورقي Paperback عن مطبعة جامعة شهيرة هي جامعة ييل ، وهما : **السيميائيات والتفسير** (١١) (١٩٨٢) ، **والسلطة النصية : النظرية الادبية وتعليم الادب الانكليزي** (١٢) (١٩٨٥) .

ومع ذلك فان السيد عبود ـ فيما يبدو ـ لم يعن بترجمته عنايته باختياره . فالعنـوان مترجما يخلو من العنـوان الفرعي **مدخـل** . وكذلك فان المترجم لا يميز بين إعادة طبع الكتاب دون تعديل أو تنقيح وهو ما يسمى بـ Printing والطبعـة edition ، ولـذلك تراه يشـير في

الصفحة (٣) من الترجمة الى انه قد استخدم الطبعة السابعة ، وهو يقصد الطبعة الاولى التي أعيد طبعها حتى عام ١٩٧٧ سبع مرات . أما إهداء الكتاب فلا يستوقف المترجم ، إذ هو مشغول بالكتاب أكثر من انشغاله بمؤلفه وما يتصل به . ولذا فهو لا يكاد يذكر هذا المؤلف بقليل أو كثير ، واذا ما تجاوز المرء الاخطاء العديدة التي يعج بها فهرس المحتوى والتي لا يكاد يخلو منها أي عنوان كما يمكن أن يلاحظ من خلال مقارنة فهرس المترجم بالفهرس التالي :

ـ مقدمة :

١ ـ ما البنيوية ؟

ـ البنيوية حركة للعقل .

ـ البنيوية منهجا .

٢ ـ من اللغويات الى الشعرية :

ـ خلفية لغوية : سوسير الى جاكبسون .

ـ النظرية الشعرية : جاكبسون وليفي شتراوس مقابل القارىء المتفوق لريفاتر .

٣ ـ تبسيط الشكل :

ـ الاشكال البسيطة لأندريه جولز .

ـ المواقف الدرامية لإتيان سوريو .

٤ ـ نحو شعرية بنيوية للقصة :

ـ جامعان للاسطورة : بروب وليفي ـ شتراوس .

ـ الشكليون الروس .

ـ علم الدلالة ، والمنطق ، والقواعد : ذرية بروب .

ـ النظم وبناة النظم .

٥ ـ التحيل البنيوي للنصوص الادبية :

ـ نظرية تزيفتان تودوروف في القراءة .

ـ النظم الترميزية لرولان بارت .

ـ أشكال جيرارد جينيت .

٦ ـ الخيال البنيوي :

ـ النظريات الرومنتية والبنيوية في اللغة الشعرية .

ـ يوليسيز : منظور بنيوي .

ـ رؤية البنيوية في القصة المعاصرة .

ـ ملحق بيبليوغرافي :

أقول اذا تجاوز المرء فهرس المحتوى فانه يمكن أن يشير الى تجاوز المترجم للملحق البيبليوغرافي المثبت في ثماني عشرة صفحة يتحدث فيها شولز عن أدبيات البنيوية التي تدور حول الموضوعات التالية :

أ) الشكليون : دراسات ومختارات وأعمال للشكليين (ص ٢٠١ ـ ٢٠٢) .

ب) المختارات البنيوية وكتب عن البنيوية (ص ٢٠٢ ـ ٢٠٦) .

ج) دراسات بنيوية ، ودراسات بنيوية أولى في اللغة والادب (ص ٢٠٦ ـ ٢١١) .

د) البنيوية في حقول متصلة بالادب واللغة (ص ٢١١ ـ ٢١٣) .

هـ) أعمال ليفي ـ شتراوس وأعمال عنه (ص ٢١٣ ـ ٢١٤) .

و) الاسلوبيات : مختارات وأعمال رئيسية (ص ٢١٤ ـ ٢١٥) .

ز) الدوريات (ص ٢١٥ ـ ٢١٦) .

ح) إضافة (ص ٢١٦ ـ ٢١٧) (١٢) .

والواقع أن الملحق دليل هام للقارىء في متابعة استكشافه لهذا الحقل العام من حقول الفكر الانساني شاء المترجم هكذا أن يحرم قارئه منه دونما سبب مقنع .

وكذلك فان الترجمة الصوتية للكثير من أسماء أعلام البنيوية غير دقيقة ولا سليمة مثل ريفايتري ويقصد به ريفاتر Riffaterr ، وسواه. وهم كثر . وربما كان خليقا بالمترجم أن يستأنس بآراء قراء الانكليزية والفرنسية وغيرهما حتى يتأكد من صحة ترجمته الصوتية لهذه الاسماء .

أما ترجمته فهي ترجمة مجتهد كبير ، وهو بالتأكيد يستحق أجرا كاملا . ولكنها إذ كانت ترجمة رائد في باب ترجمة الكتب البنيوية ، فان فيها الكثير مما يمكن للمرء أن يرغب فيه كما سيتبين للقارىء فحوى ذلك عند النظر في المثالين المختارين في القسم الثاني من هذه الدراسة . ويبدو لي أن السيد عبود كان بامكانه أن يؤدي عملا أفضل لو أنه ألف على نحو أفضل ، وأوسع، الكتابات العربية الجادة البنيوية ، والترجمات الاخرى الجيدة ، وخاصة تلك التي قام بها ذو خبرة واطلاع واسعين من أمثال كمال أبو ديب ، وجمال شحيد وسواهما . وهي متيسرة واسعة الانتشار ولا أعتقد الا أنها متاحة للسيد عبود ، فهو ناقد متابع كما تشهد له بذلك مؤلفاته وترجماته العديدة ، مهما كان الامر فان المرء لا يستطيع أن يحسد السيد عبود على ما نذر نفسه له من مهمة صعبة شاقة ونبيلة . وهو بالتأكيد لا يمكن له أن يغبطه على تنفيذها .

* * *

٢ ــ كورتسفايل وعصفور :

واذا ما انتقلنا الى ثاني هذه الكتب ، فاننا نجد أن المترجم قد أحسن الاختيار كذلك . فعلى الرغم من الحماس الذي يشترك فيه أنصار البنيوية وخصومها معا في الوطن العربي، و « رغم كثرة ما كتب أو ترجم عنها ، بل رغم تحول البنيوية نفسها الى « **موضة** » تذكر بما كانت عليه الوجودية في الخمسينات ، فليس هناك كتاب شامل يعرض للبنيوية منذ انطلاقها مع منتصف الخمسينات ــ في فرنسا ــ الى أفولها في موطنها نفسه مع مطلع السبعينات ، وقبل أن تصبح « موضة » بين مثقفينا » ، وهكذا اختير كتاب الباحثة الامريكية إديث كورتسفايل Edith Kurzweil (وليس كيروزيل ــ كما يبدو للدكتور عصفور) لانه يحاول أن يقوم بمهمة تقديم البنيوية « على نحو تعليمي نسبيا ، فهو يعرض للمناخ الثقافي الذي تولدت عنه البنيوية بوصفها حركة فكرية متميزة ، موضحا العوامل التي أدت الى ازدهارها في فرنسا ، ويتوقف تفصيلا عند أهم ممثلي البنيوية وخصومها في الحقول المعرفية المختلفة ، عارضا أهم الانجازات والتغيرات ، وينتهي بخاتمة تصل بين الخيوط المتناثرة وتكشف عن الاصول المتحدة التي انطوت على جوانب قصور أفضت الى أفول البنيوية من ناحية ، وظهور « ما بعد البنيوية » من ناحية ثانية . (ص ٥) .

واذا ما كان كتاب شولز يقدم البنيوية الادبية من خلال منظور تاريخي Diachronic اذا ما استخدمنا المصطلح البنيوي ــ فان كتاب كورتسفايل يقدم البنيوية من منظور آني Synchronic شامل يستوعب مدرجا واسعا من

تجلياتها في الفكر الفرنسي الحديث ، ومن وجهة نظر عالمة اجتماع معروفة هي البروفيسورة كورتسفايل استاذة علم الاجتماع في جامعة روتجرز Rutgers في الولايات المتحدة الامريكية ، والمحررة التنفيذية **لمجلة البارتيزان** Partisan Review الواسعة الانتشار .

والواقع أن حظ كتاب كورتسفايل افضل من حظ كتاب شولز . فقد ظفر أول ما ظفر بتعريف به (دون صاحبته التي أغفل إهداءها أيضا) امتد على أربع صفحات (ص ٥ ــ ٨) حاول المترجم من خلاله أن يضع القارىء في صورة الكتاب المجملة وكذلك فقد ألحق بترجمته تعريفا بـ « المصطلحات الاساسية » امتد على ثلاثين صفحة (ص ٢٦٣ ــ ٢٩٢) ، وهو ثبت بالمصطلحات الاساسية المستخدمة في ثنايا الكتاب والتي شعر المترجم بأنها تشكل مصطلحات ــ مفاتيح لا غنى له عن شرحها لزيادة المفاهيم التي ينطوي عليها هذا الكتاب وضوحا . ومن الجدير بالذكر ان المترجم يقر بافادته من « كل المحاولات العربية » (ص ٢٦٣) التي سبقت في ترجمة أو تعريف المصطلحات البنيوية مع انه لا يكلف نفسه عناء الاشارة اليها أو توضيح مدى إفادته منها من جهة ، ومدى اجتهاده الخاص في الترجمة والتعريف من جهة أخرى .

ونظرة عجلى لفهرس المحتوى تكشف للقارىء عن بعض الاخطاء . فعنوان الفصل العاشر هو « ماركسي ضد البنيوية » وليس « ماركس ضد البنيوية » (ص ٦٥ و ٢٩٥) . وكذلك فان عنوان الفصل السادس هو « التحليل النفسي البنيوي » وليس « التحليل النفسي والبنيوية » (ص ١٤٥ و ٢٩٥) . وكذلك فان المترجم يترجم كلمة Structure ببناء احيانا فيجمعها على ابنية (ص ٢٠٧) على الرغم من أن ترجمتها ببنية أولى وجمعها بنى . ولعل للدكتور عصفور وجهة نظر في اختياره هذا المصطلح العربي « بناء » مقابلا للكلمة الانكليزية « Structure » . وهو لا يستخدم مصطلحه بشكل متسق دائما فبينما نراه يترجم مصطلح Hermeneutics « حركة علم التأويل » في موضع (ص ٩) يفضل أن يستخدم المصطلح مترجما صوتيا في مواضع أخرى (ص ٩٥ و ٢٩٥) دون اي مسوغ .

واذا ما تجاوز المرء كل هذا الى ترجمة النص فانه سيجد أنها ترجمة مستوعب جيد على وجه الاجمال ، ولكنه مترجم مسرف في تصرفه بالنص كما سيتبين من النموذج الثاني في القسم الثاني من هذه الدراسة وإسرافه هذا ناتج فيما يبدو عن رغبة متفهمة في مساعدة القارىء على فهم النص . من هنا ذيل ترجمته بالعديد من الهوامش التي توضح غوامض النص او إشاراته الغريبة عن ذهن القارىء العربي الذي لا يحسن لغة اجنبية . وهي هوامش تشي بمدى اطلاع الدكتور جابر عصفور ومتابعته . وكذلك فانه زود نصه بالعديد من الاحالات الى الترجمات او الكتابات العربية المتصلة بموضوعات الكتاب . (ص ١٨٦ ــ ١٨٧ على سبيل المثال) ، في حين ابقى هوامش كل فصل مثبتة في نهايته تماما كما فعلت المؤلفة . ولكن السيد عصفور ــ على خلاف السيد حنا عبود ــ لا يثبت العنوان الاصلي للكتاب ، ولا تفاصيل الاشارة المرجعية اليه ، مع أن ترجمته قد صدرت حتى الآن مرتين أولاهما

في بغداد عام ١٩٨٥ ، والثانية في الدار البيضاء في أيار من عام ١٩٨٦ .

والحقيقة أن ترجمة الدكتور عصفور ترجمة صحيحة إجمالا ، ولو أنها لا تواكب النص مواكبة تامة . إنها ترجمة ناقد مخضرم ، له إسهاماته في النقد العربي القديم والنقد العربي الحديث ، يعنيه أساسا توظيف الافكار النقدية الاجنبية على وجه مجد في مواجهة النصوص العربية الإبداعية والنقدية في آن معا ، ولا يعني كثيرا بنقلها بدرجة كبيرة من الدقة والامانة والنكهة الاصلية التي يتميز بها النص الاصلي . وبينما يتغلب الباحث فيه في كتبه ، نرى أن الرجل العملي هو الذي يغلب عليه في ترجمته . واذا كان من ألف أصبح مستهدفا ولكن بثمن ــ وعزاء ــ هو تقديم أفكاره الخاصة به للآخرين ، فان من ترجم أصبح مستهدفا ، ولكن دون ثمن ــ وربما دون عزاء ــ إذ كان ما ينقله أساسا يتصل بالآخرين .

* * *

٣ ــ هوكس وماشطه (وحلاوي) :

أما ثالث هذه الكتب ــ العينات ــ فهو من أقلها حظا في مترجمه ومراجعه وخدمته . ذلك ان كتاب تيرانس هوكس Terence Hawkes أستاذ الانكليزية في كلية الجامعة في كارديف (في ويلز بالمملكة المتحدة) ، كان فاتحة سلسلة هامة جدا ، سبق لصاحب هذه السطور أن تحدث عنها (*). وقد نشر هذا الكتاب أول ما نشر عام ١٩٧٧ ليكون أول الغيث لخير كبير أصاب المعنيين بدراسة الادب وتدريسه . وهذه السلسلة هي « New Accents » « **لهجات جديدة** » التي أريد لها أن تواكب انعكاس التغيير الاجتماعي (الجذري والسريع الذي يشهده عصرنا) في الدراسات الادبية ، بغرض تشجيع هذا التغيير وتعميقه ومباركته . خاصة وان محور اهتمامها ، وكما يوحي عنوان السلسلة نفسه بذلك ، هو تلك المناطق التي وجدت في التطورات اللغوية الحديثة حافزا أساسيا لها على إعادة ترتيب أوضاعها من جهة ، وإعادة النظر في تناولها للأدب من جهة أخرى . إن هذه السلسلة التي واكبت منذ نهاية السبعينات التحولات الكبرى التي شهدتها دراسة الادب والنقد في العالم الانكلو ــ أمريكي وحفزت بعضها ، وشجعت بعضها ، ووضحت معالم بعضها الآخر ، والتي صدر منها ما يقرب من ثلاثين كتابا (**) غدا معظمها كتب قراءة أساسية للنشىء الجديد من دارسي الادب في العالم الناطق بالانكليزية على الاقل ، لا تكاد تظفر بمجرد إشارة واحدة . وكذلك شأن محررها العام البروفيسور هوكس نفسه، الذي يغبطه الكثيرون على نجاح سلسلته الممتازة التي تصدر كتبها

(*) انظر عبد النبي اصطيف ، « لهجات جديدة والبنيوية والسيميائيات » ، الموقف الأدبي (دمشق) ، العدد ١١٦ ، كانون الاول ١٩٨٠ ، (ص ١٣٣ ــ ١٣٧) .

(**) آخر ما صدر من هذه السلسلة كتاب يحمل عنوان البنيوية الفوقية : فلسفة البنيوية وما بعد البنيوية ، لريتشارد هارلاند وانظر :

Richard Harland, Superstructuralism : The Philosophy of Structuralism and Poststructuralism, Methuen, London, 1987.

دائما في طبعتين مجلدة وذات غلاف ورقي في آن معا ، وهو شرف لا يحظى به اي كتاب وبهذه السهولة . وهكذا نرى أن المترجم يغفل مقدمة المحرر العام للسلسلة تماما ، ولا يشير الى صفحتي التقدير اللتين تعكسان دين المؤلف الفكري وسواه . واذا كان إغفاله هذا مغتفرا فان إغفاله للبيبليوغرافيا المرفقة بالشروح البرقية التقويمية للبروفيسور هوكس لا يكاد يغتفر ، خاصة وأن هذه البيبليوغرافيا تمتد على سبع وعشرين صفحة وتشمل الاقسام التالية :

أ) المواد التمهيدية ، المختارات ، مجموعات المقالات .

ب) اللغويات والأنثروبولوجيا .

ج) الشكلية .

د) البنيوية : نصوص وشروح .
- البنيوية عامة .
- البنيوية والنقد الادبي .

هـ) السيمائيات .

و) بعض المجلات ذات الصلة .

ويبلغ عدد مداخل هذه البيبليوغرافيا - الدليل المشروحة (١٦٨) مدخلا ، ذيل كل منها بالملاحظات التقويمية الضرورية لتوجيه القارىء في قراءاته الاخرى . وكذلك فان ثمة ما يسميه المؤلف « بعض انساق قراءة مقترحة » على القارىء الراغب في متابعة شؤون البنيوية وشجونها وهي كثيرة . ولكن هذا الجهد الهام جدا والذي ربما كان لا يقل أهمية عن الكتاب نفسه لا يستحق حتى مجرد إشارة من المترجم الذي يشارك المترجمين الآخرين في إغفاله لإهداء المؤلف أيضا .

وربما يغتفر كل ذلك بدعوى أن هذه المداخل غير متوفرة أساسا للقارىء العربي ، وأن إثباتها وعدمه سواء . ولكن هل يمكن أن يغتفر للمترجم (وللمراجع الذي يفترض فيه أن يكون قد دقق عمله) حذف هوامش الكتاب كاملة (وكم نغتفر ونغتفر بعدئذ) . والواقع أن المترجم كما سيلاحظ القارىء من خلال قراءته النموذج الثالث من القسم الثاني من الدراسة يميل الى الاختصار في كل شيء حتى ليشمل ذلك نص المؤلف . فاذا كان التقدير المبدئي لنص المؤلف هوكس لا يقل عن خمسة وسبعين الف كلمة (*) ، فان نص السيد ماشطة المترجم لا يصل الى اربعين الف كلمة (**) . ولا يمكن أن يعزى هذا النقص الى مجرد قدرة اللغة العربية السحرية على الايجاز العبقري المعجز . خاصة وأن هذه الاربعين الفا التي يبقي السيد ماشطة عليها تشمل تمهيد المترجم (ص ٥ - ٨) الذي يقع في اربع صفحات، وهوامشه ، ومصطلحاته ، التي تبلغ ثماني صفحات ، وهي في جملتها لغو لا توحي بثقة كبيرة بما يقدمه المترجم للقارىء على الرغم من أن هذا المترجم - فيما يزعم - قد سعى الى أن تكون « الترجمة قد وفقت في نقل ما رام الكتاب الاصلي قوله نقلا دقيقا » (ص ٨) . ولكن امله هذا لم يجاوز النوايا .

(*) يقع كتاب هوكس في (١٩٢) صفحة في كل منها اربعمائة كلمة .

(**) تقع ترجمة الماشطة في (١٦٠) صفحة في كل منها (٢٥٠) كلمة .

والواقع أن القارىء ، إذ يرى ما آل اليه نص البروفيسور هوكس على يد السيد المترجم ، لا يسعه إلا أن يتخلى عن أي أمل في أن يجد فيه ما يغريه بمتابعته . فهو نص ممسوخ منسوخ قام بصنعه السيد ماشطة بمساعدة الدكتور حلاوي بطريقة جد اصلية تكادتكون خاصة بهما .

وربما كان من نافلة القول الاشارة الى أن النص المترجم يخلو من أية إشارة أو تعليق مفيد. والصفحات الثماني التي تحتوي هوامش السيد المترجم (التي لا جدوى منها ، وخاصة أن بعضها غير مدقق ـ فكتاب آي ، إيه ، ريتشاروز I. A. Richards هو « **النقد العملي** » **(Practical Criticism)** وليس النقد التطبيقي كما يذكر المترجم في الصفحة ١٥٢ على سبيل المثال) ومصطلحاته (التي لا تقدم ولا تؤخر في فهم النص البائس الذي يقدمه لقارئه المسكين) التي يشير باستمرار فيها الى اجتهادات د. يوئيل عزيز و د. جابر عصفور دون توثيق ، ودونما طائل ، اذ لا يبدو أنه افاد منها ، تكاد تمثل رصاصة الرحمة التي يأتي بها على حياة ، أو ما تبقى من حياة ، هذا النص الميسر الواضح المركز ذي النكهة المتميزة .

والواقع أن ترجمة هذا الكتاب الهام جدا ، والسيء الحظ حتما ، إذ وقع في شرك السيد الماشطة ، مثال صارخ جدا على جراة غريبة حقا في التحلل من المسؤولية الاجتماعية والعلمية والاخلاقية التي ينبغي أن ينطوي عليها عمل المترجم . ولكن كل ميسر لما خلق له ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

* * *

● القسم الثاني :

ثلاثة نماذج :

بين يدي النماذج

على الرغم من أن تقديم هذه النماذج يستهدف غاية محددة هي توضيح جوانب من عملية نقل الافكار الاجنبية الى الثقافة العربية المعاصرة ـ من خلال هذه القناة الهامة التي هي الترجمة ـ ومن ثم الوقوف على ما فيها من مؤشرات ايجابية وسلبية ، وبالتالي محاولة تطوير هذه العملية لتمارس دورها الحيوي في تغذية الحياة الثقافية والفكرية وتدعيمها ، الا أن هذه النماذج بأمثلتها الخمسة لم تنتق بعناية شديدة لتكون ممثلة تماما لاعمال المترجمين الثلاثة والمراجع ، بل اختيرت عشوائيا من الكتب الثلاثة . وبالتالي فانها يمكن من الناحية النظرية أن تكون نماذج لافضل ما في هذه الكتب ، مثلما يمكن ان تكون نماذج لأسوأ ما فيها . ومع ذلك فانها يمكن ان تكون نماذج ممثلة . وربما كان من أهم ما يرشحها لذلك هو أن أربعةمنها كانت من مطالع الفصول أو المداخل أو المقدمات، بمعنى انها كانت في بداية عمل المترجم . أي انها يفترض أن تنطوي على مقدار معتبر من التركيز والانتباه من جانب المترجم في مواجهة لنصه . الا انها من جهة اخرى ، وربما بسبب كونها من مطالع الفصول أو المداخل ، قد تمثل بداية المواجهة بين المترجم ونصه وبالتالي فانها ربما تغفل مدى ما يمكن ان يقوم به المترجم من تطوير لعمله من خلال الخبرة التي يكتسبها من الممارسة ، وإلفة

اسلوب المؤلف كلما مضى في انتشاره في عالم هذا النص الاجنبي بغاية فتحه امام القارىء العربي . من هنا يمكن الافادة من المثال الخامس في معرفة مدى ما يمكن أن يكون قد طرأ على عملية المواجهة هذه من تطوير .

مهما كان الامر فانه يجدر بالمرء ان يشير الى أن على المترجم ـ وشأنه في ذلك شأن من يعمل في اي مجال فكري ثقافي ـ أن يضمن عمله مقدرا غير يسير من المراجعة ، وربما لضروب مختلفة منها ، لان عمله ينطوي على خطر تقـديم شيء آخر غير ما أراده صاحب النص الاصلي ، واذا ما كان الناس احرارا في ان يكتبوا مايشاؤون وأن يقدموا للقارىء من هذا الـذي يكتبونـه ما يرغبون فيه . فانه لا يحق لهم ان يقدموا ما يكتبه الآخرون بالحرية نفسها . ان عليهم ان يتذكروا دوما ان معايير الامانة العلمية والدقـة والوضوح هي ما ينبغي ان يسود في عملية نقل افكار الآخرين مهما كان شكل عملية النقل هذه. ان اساس المعرفة هو الصدق ، الصدق مـع النفس ، والصدق مع الآخرين ، صدق الورود ، وصدق الصدور ، إذ لا تنمو المعرفـة البشرية إلا بـه .

وقبل أن أدع القارىء لهذه النماذج ، أود الاشارة الى أن جميع الامثلة كانت فقرات كاملة، وربما طويلة بعض الشيء ، وذلك حتى تتيح له فرصة متابعة المقارنة على نحو افضل ومن خلال سياق اكثر وضوحا ، والحكم متروك في النهايـة له ، اذ النصوص الثلاثة بين يديه .

* * *

* النموذج الاول ـ مثالان :

١ـ أ ـ ١) النص الانكليزي

In this book we are concerned with the relevance of structuralism to literature and literary criticism. Thus we must face the fact that the structural methodology is not the exclusive property of literary study - far from it - that its roots are in the social sciences (linguisties, anthropology), and that its very application to literature depends upon the relationship between the language of literature and the whole of language. Both the vitures and the limitations of structuralism stem from its linguistic roots. In this chapter, then, we shall consider two aspects of the relationship between linguistics and the theory of literature. First, it will be necessary to present those concepts of modern linguisties which have been most influential in literay studies, and then it will be appropriate to investigate the most important attempt to move from linguisties to poetics in order to establish a theory of literature. In considering these twe aspects of structuralism, we shall inevitably concentrate on the work of those two linguists who have been most influential on literary studies : Ferdinand de Saussure and Roman Jakobson.

١ ـ أ ـ ٢) نص المترجم (حنا عبود)

« راعينا في هذا الكتاب علاقة البنيويـة بالادب والنقد الادبي ، فعلينا ان نواجه حقيقـة ان الطرائقية البنيوية ليست ميزة مقصورة على الدراسة الادبية ، ذلك ان جذورها تمتد بعيـدا في العلوم الاجتماعية (اللسانيات والانتربولوجيا) وأن تطبيقها على الادب يعتمد على العلاقة بين لغة الادب واللغة ككل . وكل ميزات البنيويـة ومحدوديتها تنبع من جذورها اللغوية . وفي هذا الفصل سوف نلتفت الى مظهرين من العلاقة بين الالسنية ونظرية الادب . أولا ، من الضروري أن نقدم مفاهيم الالسنية الحديثة ذات التأثير الكبير في الدراسات الادبية ، وعندها يكون من الاجـدر ان نتحرى أهم محاولة للانتقال من الالسنيـة الى الشعرية من أجل اقامة نظرية أدبية . اما بخصوص هذين المظهرين في البنيوية ، فاننا لا بد من تركيز اهتمامنا على العالمين اللغويين اللذين كان لهما أعظم تأثيرفي الدراسات الادبية: فرديناند دي سوسير وريمون جاكوبسون » . (ص ٢٥) .

١ ـ أ ـ ٣) النص بعد اعادة ترجمتـه (عبد النبي اصطيف)

« نحن معنيون في هذا الكتاب بوثاقة صلة البنيوية بالادب والنقد الادبي . ولذا فان علينا ان نواجه حقيقة ان المنهجية البنيويـة ليست خصيصة مقصورة على الدراسة الادبية ـ فهـي بعيدة عن ذلك ـ وان جذورها موجودة في العلوم الاجتماعية (اللغويات ، الانتروبولوجيا) ، وان تطبيقها ذاته على الادب يعتمد على الصلة [القائمة] ما بين لغة الادب واللغة بوصفها كلا . ان كلتـا فضائل البنيوية وحدودها تنبثق عن جذورهـا اللغوية . سوف ندرس في هـذا الفصل اذن وجهين اثنين لصلة اللغويات ونظريـة الادب . وسيكون من الضروري ان نقدم اولا تلك المفاهيم الخاصة باللغويات الحديثة التي كانت جد مؤثرة في الدراسات الادبية ، وعندها سيكون من الملائم أن نتفحص اكثر المحاولات اهمية في الانتقـال من اللغويات الى الشعرية poetics بغرض اقامة نظرية للادب . ونحن في دراستنا لهـذين الوجهين من وجوه البنيوية سنركز حتما على ذينيك اللغويين اللذين كانا الاكثر تأثيرا في الدراسات الادبية : فردينان دوسوسر ورومان جاكبسون» .

* * *

١ ـ ب ـ ١) النص الانكليزي

The virtues and limitations of structuralism as an approach to literary study can be seen more clearly in the treatment of narrative literature than in any other aspect of literary theory or criticism. This is so for a number of reasons, which resolve themselves finally to the « fit » between narrative literature as a subject matter and structuralism as a discipline. Because the field of narrative extends from myth on the one hand (simple, short, popular, oral, prehistoric) to the modern novel on the other (complex, long, individual, written, historical), while preseving certain structural features (character , situation, action, resolution), it offers a superb field of study to the struceuralist, and the field has been well cultivated. The

structural study of fiction, despite a heritage going back to Aristotle, may almost be said to begin with Vladimir Propp's work on the Russian fairy tale. Propp provided for fiction that kind of « simplification of form » which has been such an important impetus to structuralist thinking. The difference between Propp's approach io simple narrative forms and that of Lévi - Strauss, which we shall explore in the following section of this chapter, suggests a range within structuralism which is so great as almost to amount to a schism. Though much simpler, much less ingenious - or perhaps because much simpler and less ingenious - Propp's work has proved thus far much more important for liteaary theory than that of Levi - Srauss. If there is a schism, Propp is the first pope of the orthodox sect. (ص ٥٩)

١ـ ب ـ ٢) نص المترجم (حنا عبود)

« مزايا وحدود البنيوية باعتبارها مقاربة للدراسة الادبية يمكن ان تظهر بوضوح في معالجتها الادب القصصي اكثر من اي مظهر آخر من مظاهر النظرية الادبية او النقد . ويرجع هذا الى عدد من الاسباب ، يمكن ارجاعها في النهاية الى « الملاءمة » بين الادب القصصي كموضوع ، والبنيوية كمنهج ثقافي . ولما كان حقل القصة يمتد من الاسطورة (البسيطة ، القصيرة ، الشعبية ، الما قبل تاريخية) من جهة ، حتى النوفل الحديثة (المركبة ، الطويلة ، الفردية ، الكتابية ، التاريخية) من جهة اخرى ، محتفظا بسمات بنيوية معينة (الشخصية والموقف والحركة والحل) فانه يعتبر بالنسبة الى البنيوية حقلا رائعا للدراسة ، وقد جرى حرث الحقل جيدا . الدراسة البنيوية للرواية ، على الرغم من التراث الذي يرجع الى ارسطو ، تبدأ بكتاب فلاديمير بروب عن قصص الجن ، قدم بروب للرواية « تبسيط الشكل » الذي كان دافعا هاما للتفكير البنيوي . ان الفرق بين مقاربة بروب للشكل الروائي ، ومقاربة ليفي ستروس ، الذي سوف نتحدث عنها في الفقرة التالية من هذا الفصل، خلق صدعا داخل البنيوية ، طفق يزداد اتساعا ، حتى شارف حد الانشقاق . ومع ان ـ أو ربما بسبب أن ـ كتاب بروب اشد بساطة وأقل براعة ، فقد كان مهما للدراسة الادبية اكثر بكثير من كتاب ليفي ستروس . وان كان ثمة انشقاق فان بروب هو الباب الاول لطائفة الارثوذكس » . (ص ٧٥) .

١ـ ب ـ ٣) النص بعد اعادة ترجمته (عبد النبي اصطيف) .

« يمكن لفضائل البنيوية ـ بوصفها مدخلا للدراسة الادبية ـ وحدودها ان ترى بوضوح اكثر في معالجتها للادب السردي من اي وجه آخر من وجوه النظرية الادبية او النقد . ويرجع هذا لعدد من الاسباب تنحل جميعا في النهاية في « التوافق » ما بين الادب السردي بوصفه موضوعا والبنيوية بوصفها حقلا معرفيا . ولما كان حقل السرد يمتد من الاسطورة (البسيطة ، القصيرة ، الشعبية ، الشفوية ، ما قبل التاريخية) من جهة ، الى الرواية الحديثة (المعقدة ، الطويلة ، الفردية ، المكتوبة ، التاريخية) من جهة اخرى ، بينما يحتفظ بقسمات بنيوية معينة (الشخصية ، الحالة ، العمل ، الحل) فانه

يقدم البنيوي حقلا رائعا للدراسة ، وقد هيء الحقل جيدا . ويمكن القول تقريبا ان الدراسة البنيوية للقصة ، على الرغم من تراث يعود الى أرسطو ، تبدأ بعمل فلاديمير بروب عن حكايات الجن الروسية . لقد قدم بروب للقصة ذاك النوع من « تبسيط الشكل » الذي كان دافعا هاما للتفكير البنيوي . ان الفرق ما بين مدخل بروب للاشكال السردية البسيطة ومدخل ليفي شتراوس ، والذي سنستكشفه في القسم التالي من هذا الفصل ، يوحي بمدى ـ ضمن البنيوية ـ جد كبير حتى ليبلغ الانشقاق تقريبا . وعلى الرغم من أن عمل بروب والى حد كبير اكثر بساطة ، وأقل براعة ـ وربما لانه والى حد كبير اكثر بساطة وأقل براعة ـ فقد دلل حتى الآن على انه والى حد كبير اكثر اهمية للنظرية الادبية من عمل ليفي ـ شتراوس . واذا ما كان ثمة انشقاق ، فان بروب هو البابا الاول للطائفة الاورثوذكسية » .

* * *

ملاحظات عجلى على المثالين

ان المرء اذ يقارن بين النص الانكليزي ، وبين ترجمة السيد عبود ، في ضوء الترجمة البديلة المقترحة في المثالين الواردين فيما تقدم ، ليجد الكثير مما يثير الشجون ، وخاصة عندما يفكر في عقابيل هذا النوع من النقل للفكر البنيوي على حسن فهم القارىء العربي له ، ومن ثم تقبله له ، وتوظيفه التوظيف الايجابي الملائم في دراسته لمختلف وجوه الثقافة العربية قديمها وحديثها .

وأول ما يمكن أن يلاحظه هو أن ثمة نقصا ، ولو كان محدودا ، في المثال الاول لا يكاد يؤثر في المعنى الاجمالي للنص إلا قليلا ، ونقصا اكبر في المثال الثاني يكبر معه تأثيره السلبي في المعنى ، وأن فهم المترجم كان معقولا بشكل عام ، ولكنه بالتأكيد ليس تاما ولا كاملا .

أما فيما يتعلق بضبط الاسماء الاجنبية وكتابتها صوتيا بالعربية فيكاد يكون محدودا فرومان جاكبسون ، يصبح ريمون جاكوبسن على سبيل المثال . وكذلك الشأن فيما يتعلق بخدمة النص بتقديم الشروح والاشارات التوضيحية الضرورية لمتابعة الترجمة . وبالاضافة الى ما تقدم يجد المرء أن الصياغة وخاصة فيما يتعلق بمعياري الدقة والوضوح تترك الكثير مما يرغبه المرء فيها ويبدو ان السيد المترجم لا يحب أن يستعين بشكل عام بعلامات الترقيم على الرغم من أهميتها في الكتابة الحديثة .

أما المشكلة الاساسية التي يعاني منها المثالان ، وخاصة الثاني منهما ، فهي مشكلة المصطلح النقدي واتساقه . فالسيد المترجم إذ استعمل الادب القصصي بدلا من الادب السردي narrative Literature ، حار ، فيما يبدو ، في ترجمة المصطلحات الاخرى . وهكذا ترجم مصطلح narrative بالقصة ، والصحيح انه السرد ؛ وترجم مصطلح الـ novel بالنوفل ـ اي انه ترجمه صوتيا فقط ـ والصحيح انه الرواية ؛ وترجم مصطلح الـ Fiction بالرواية ، والصحيح انه القصة ، أو الادب القصصي الذي يضم الرواية ، والقصة القصيرة والنوفلا ، أو الرواية القصيرة . وبالطبع فانه هذا التخبط في استخدام المصطلح الصحيح ادى الى تخبط في فهمه النص وبالتالي في صياغته العربية له ، الامر الذي جعل فهمه متعسرا على القارىء وخاصة القارىء الذي يتمتع بحس تمييز المصطلحات المتصلة بالقصة . ولربما رآه ضرباً من الكتابة الصينية المبهمة .

* * *

* النموذج الثاني ـ مثال واحد :

٢ ـ أ ـ ١) النص الإنكليزي :

The idea of this book came to me when I suddenly realized after I had written about Lévi - Strauss for Partisan Review that an intellectual movement could be fashionable without being understood. I myself at that point did not know how much I still had to learn to make sense of its various forms. But I was struck by the diverse reactions to Lévi - Strauss' notions - reactions which could only partly be attributed to the fact that he is French, but which had to do with the appeal and respect accorded Parisian intellectuals. This is not to say that all the Parisian talk of structuralism was any freer of simplifications than existentialism-its predecessor-had been. Nor that the educated French understand it much better than their American counterparts.

Still, structuralism did have an impact on the French intellectual community, and did address all other philosophical systems - hermeneutics, Marxism, phenomenology, existentialism, rationalism, etc. Thus I included chapters on the most representative structuralists (in anthropology, Marxism,psychoaialysis, literature, and history) as well as on their opponents (in Marxism, hermencutics, and sociology), so that this book about structuralism also puts structuralism in its intellectual and Pilitical milieu. (IX ص)

٢ ـ أ ـ ٢) نص المترجم (د. جابر عصفور)

« عرضت لي فكرة هذا الكتاب بعـد أن نشرت مقالا عن كلود ليفي شتراوس في مجلـة البارتيزان ريڤيو Partisan Review ،إذ بدهتني فكرة مؤداها أن حركة فكريـة بعينها يمكن أن تشيع دون أن تكون مفهومة تماما . ولم أكن أنا ذاتي أدري ـ في ذلك الوقت ـ مدى ما كان علي أن أتعلمه كي أفهم الاشكال المتنوعة لهذه الحركة. ولكنني دهشت لتباين ردود الفعل التي أحدثتها أفكار ليفي شتراوس ـ وهي ردود فعل لا ترجع الى مجرد كونه فرنسيا فحسب ، لكنها ذات صلة بالجاذبيـة التي ينطوي عليهـا المثقفـون الفرنسيون والاحترام الذي يتمتعون به في أعـين الناس . وليس معنى ذلك أن كل الكلام الباريسي عن البنيوية كان أقل تبسيطا مما قيـل عـن الوجودية ـ الحركة التي سبقتها ـ أو ان المتعلمين الفرنسيين يفهمون البنيوية فهما أفضل من فهم أقرانهم الامريكيين .

«ومع ذلك فقد كان للبنيوية اثر قوي في مجتمع المثقفين الفرنسيين . كما كان لها توجهها نحو كل الانساق الفلسفية الاخرى ، من مثـل حركة علم التأويل Hermeneutics والماركسية وفلسـفة الظاهريـات Phenomenology والوجودية والعقلانية .. الخ . ولهذا السبب ، خصصت فصولا من هذا الكتاب لابـرز ممثلي البنيوية (في الانثروبولوجيا والماركسية والتحليل النفسي والادب والتاريخ) وأبـرز خصومها (في الماركسية وعلم التأويل وعلم الاجتماع) . ومن هنا ، فان هذا الكتاب يقوم أيضا بوضع البنيوية في مناخها الثقافي والسياسي الذي لا تنفصل عنه» . (ص ٩) .

٢ ـ أ ٣) النص بعد إعادة ترجمة (عبد النبي اصطيف) :

« عرضت لي فكرة هذا الكتاب بعد أن تبينت فجأة ، إثر كتابتي عن كلود ليفي ـ ستراوس **لمجلة البارتيزان** أن حركة فكرية يمكن أن تكون شائعة دون أن تكون مفهومة . ولم أكن أنا ذاتي عندها أدري مدى مازال علي أن أتعلمه كي أفهم أشكالها المتنوعة . ولكنني صدمت بتنوع ردود الفعل تجاه أفكار ليفي ـ شتراوس ـ **وهي ردود** فعل لا يمكن أن تعزى الا جزئيا الى حقيقة كونه فرنسيا ، ولكنها ذات صلة بالجاذبية والاحترام اللذين يمنحان للمثقفين الفرنسيين . وليس معنى هذا أن كل الحديث الباريسي عن البنيوية كان خاليا من التبسيط أكثر منه عن الوجودية ـ سلفها ـ ولا أن المتعلمين الفرنسيين يفهمون البنيوية أفضل من فهم نظرائهم الامريكيين .

ومع ذلك فقد كان للبنيوية أثر في مجتمع المثقفين الفرنسيين ، كما أنها خاطبت فعلا كل الانظمة الفلسفية الاخرى ـ كالتأويل ، والماركسية ، وعلى الظواهر ، والوجودية ، والعقلانية .. الخ . وهكذا ضمنت [الكتاب] فصولا عن البنيويين الاكثر تمثيلا (في الانثروبولوجيا ، والماركسية ، والتحليل النفسي ، والادب والتاريخ) وكذلك عن خصومهم (في الماركسية ، والتأويل ، وعلم الاجتماع) حتى يضع هذا الكتاب عن البنيوية ، البنيوية في بيئتها الفكرية والسياسية » .

* * *

ملاحظات عجلى على المثال :

أما المقارن لنص كورتسفايل Kurzweil من كتابها « **عصر البنيوية** » ولترجمة الدكتور جابر عصفور له ، فانه يلاحظ مقدارا يسيرا من عدم الدقة من جانب ، ومقدارا غير يسير من التصرف الذي يبيح لصاحبه فيما يبدو حق حشو النص المترجم بما يرى أنه ضروري لمساعدة القارىء العربي على فهم هذا النوع من الكتابة المكثفة من جانب آخر . وعلى الرغم من أنه يمكن للمرء أن يتفهم وجهة نظر الدكتور عصفور في ضرورة التيسير على قارئه ، الا أن الامانة والدقة فضيلتان مقدمتان على الرغبة في مساعدة القارىء ، خاصة وان معظم الزيادات التي ضمنها الدكتور عصفور في ثنايا ترجمته يمكن الاستغناء عنها بشيء من الجهد الصياغي .

مهما كان الامر فان المقارن لا يسعه الا أن يشيد بقدرة الدكتور عصفور الممتازة على فهم النص البنيوي ـ وهو نص عالة اجتماع غالبا ما يشار الى صعوبة لغة علمها ـ الذي ينهض بترجمته بكفاءة عالية لا تطأطىء من سموها هفوات معدودة بعضها يحتمل النقاش نتيجة اختلاف وجهات النظر مثل استخدامه لكلمة الانساق بدل الانظمة مقابلا لكلمة Systems والمناخ بدل البيئة مقابلا لكلمة milieu وغيرهما .

ومع ذلك فان ثمة فرقا ـ فيما يبدو لي ـ بين نشر مقال عن موضوع ما في مجلة ما ، وبين الكتابة لها عنه ، وبين أبرز خصوم البنيوية ، وبين خصوم البنيويين . ولكن الكمال لله سبحانه وتعالى . وحسب الدكتور جابر عصفور أنه

تصدى لكتاب هام وصعب من جهة ، في موضوع شائك وشائق وخلافي من جهة اخرى ، ونقله الى القارىء العربي بلغة عربيـة مفهومـة وسهلة القراءة ، صدر فيها عن فهم ممتاز . ولا شـك ان كل ما وقع فيه من عثرات سيكون بالتأكيد ـ في نظر القارىء العربي المتلهف لشيء ينفـع الناس عن البنيوية ـ ثمنا بخسا لكنز المعلومات الذي يحتويه المترجم « **عصر البنيويـة : ليفي ستراوس الى فوكوه** » والذي صدر عام ١٩٨٠ عن مطبعة جامعة كولومبيا في نيويورك .

* * *

*** النموذج الثالث ـ مثالا :**

٣ ـ أ ـ ١) النص الانكليزي :

To the average speaker of English, terms such as (structure), (structuralist) and (structuralism) seem to have an abstract, complex, new - fangled and possibly French air about them : a condition traditionally offering uncontestable grounds for the profoundest mistrust.

But whatever the attractions of such anglo - saxon prejudices, they do not, on inspection, turn out to be particularly well - founded. The concept of (structure), the notion of various (structuralist) stances towards the world which might collectively be called (structuralism) are not entirely alien to our trusted ways of thinking, nor did they spring, fully formed with horns and tail, out of the sulphurous Parisian atmosphere of the last decade.

(ص ١١) .

٣ ـ أ ـ ٢) نص المترجم (مجيد الماشطة ، والمراجع د. ناصر حلاوي) :

« تبدو للفرد الاعتيادي بعض الالفاظ مثل البنية والبنيوي والبنيوية الفاظا غريبة معقـدة مجردة ، الامر الذي يضعها دائما في موضـع الريبة القصوى . ومهما يكن هـذا الارتياب ، فالتحري كفيل بازالته . فمفهوم « البنيـة » والنظرات البنيوية المتنوعة الى العالم ، وهو ما يمكن تسميتها عموما بالمبدأ البنيوي او بالبنيوية، ليست بعيدة كليا عن أساليبنا المألوفة للتفكير ولم ترد دخيلة علينا من الجو الباريسي السـاخن في الستينات » (ص ٩) .

٣ ـ أ ـ ٣) النص بعد إعادة ترجمته (عبد النبي اصطيف) :

« يبدو أن لمصطلحات مثل « البنية » و « البنيوي » و « البنيويـة » بالنسبة للناطـق العادي بالانكليزية ، هالة مجردة ، ومعقـدة ، وعصرية ، وربما فرنسية . وهو وضع يقـدم عادة أسبابا غير قابلـة للنقاش لاعمق اشـكال الريبة . ولكن مهما كانت جاذبيات أهواء انكلو ـ سكسونية كهذه ، فانها عند الفحص لا تبدو في النهاية راسـخة على نحو خاص . إن مفهوم « البنية » وفكرة وجود مواقف « بنيوية » متنوعة تجاه العالم يمكن تدعى جميعا بـ « البنيويـة » ليستا غريبتين تماما عن طرقنا الموثوقة في التفكير، ولم تنبثقا مشكلتين على نحو تام بقرون وذيل من الجو الباريسي الجهنمي للعقد الاخير » .

* * *

٣ ـ ب ـ ١) النص الانكليزي :

Attention has already been drawn to the commitment of American linguists to the construction of synchronic accounts of native Indian languages, a commitment arising partly from their fear that to describe these (exotic) languages in terms of familiar Indo - European categories could have a distorting effect on them. And we have remarked that this practice eventually led to the development of an inherently (structural) view of language and culture whose major proponents, Boas, Sapir, Whorf and later Bloomfield, produced influential work in the field of what has com to be termed (descriptive linguistics).

(ص ٧٣ ـ ٧٤) .

٣ ـ ب ـ ٢) نص المترجم (مجيد الماشطة، والمراجع د. ناصر حلاوي) :

« وقد سبق أن لفتنا الانتباه الى اهتمام اللسانيين الامريكيين بوضع دراسات تزامنية للغات الهنود الاصلية ، وهو اهتمام ناجم جزئيا من خوفهم من أن وصف هذه اللغات « البائدة » بموجب الاصناف الهندو ـ أوربية سيكون له تأثير سلبي عليها كما سبق أن لاحظنا أن هذا الاتجاه قد قاد الى تطور مذهب بنيوي أصيل للغة والحضارة ، كان من أكبر دعاة بوس وسابيروورف وبلومفيلد ، الذين قاموا بجهد ضخم في حقل اصبح يدعى باللسانيات الوصفية» (ص ٦٨) .

٣ ـ ب ـ ٣) النص بعد إعادة ترجمته (عبد النبي اصطيف) :

« لقد تم لفت الانتباه للتو الى التزام اللغويين الامريكيين بانشاء أوصاف آنية synchronic للغات الهندية الاصلية ـ التزام ناجم جزئيا عن خوفهم من أنه قد يكون لوصف هذه اللغات الغريبة بمصطلح المقولات الهندو ـ أوربية المألوفة تأثير مشوه فيها . وقد لاحظنا أن هذه الممارسة قادت في النهاية الى تطور رأي في اللغة والثقافة « بنيوي » أصلا ، أنتج دعاته الرئيسيون ـ بوس ، وسابير ، ووورف ، وبلومفيلد فيما بعد ، عملا مؤثرا في الحقل الذي اصطلح عليه في النهاية بـ «اللغويات الوصفية» » .

* * *

ملاحظات عجلى على المثالين :

وأما المتفحص لمثالي النموذج الثالث فانه ربما يصعق بنص السيد مجيد الماشطة الذي راجعه (كذا) الدكتور ناصر حلاوي ، اذ يبدو أن أزمة الورق التي يعاني منها الوطن العربي قد جعلته يفكر في مبادرة غريبة من نوعها وهي اختصار النص الذي يقوم بترجمته الى النصف (المثال الاول) ، مع انني اشك في أن حلا كهذا سيظفر برضى البروفيسور هوكس لانه كان على حسابه ، أو أنه سيلقى القبول الحسن لدى القارىء العربي الذي يرغب ـ فيما أعلم ـ في أن يعامل باحترام أكبر . ويبدو أن حرية التصرف التي منحها المترجم لنفسه بكثير من الليونة قد مست علامات الترقيم في النص فأتت على الكثير منها على الرغم من أهميته وخاصة علامات التنصيص . ولكن المترجم يقلد الكثيرين من

الكتاب العرب المحدثين الذين يرون أن علامات الترقيم ما هي اداة زينة لا أكثر ، لا تقدم ولا تؤخر بالنسبة بالمعنى الذي لا يعنيهم كذلك .

واذا ما صرف المرء انتباهه الى هذا الذي بقي من نص هوكس ، فانه يرى أنه قد مسخ ونسخ على نحو بالغ السوء . واذا كانت هـذه درجة فهم السيدين المترجم والمراجع للانكليزية وفي الفقرة الاولى من هذا الكتاب لذي وضـع ميسرا على نحو خاص ، فان المرء يتمنى لو أنهما حلا مشكلة الورق باختصار النصف الثاني من نصهما المترجم . إذن لوفرا بذلك الكثير على القراء وعلى الاقتصاد العربي من هـدر للمال والوقت في آن معا . إذ لا يمكن للمرء ان يتصور أن يتحول الـ « Commitment » الالتزام الى اهتمام ؛ وأن تتحول الـ « exotic » الغريبة الـى البائـدة ؛ وأن تتحـول الـ Terms المصطلحات الى الاصناف ، والثقافة Culture الى الحضارة ، والمشوه distorting الى سلبي، والعمل المؤثر Influential work الى جهـد ضخم الى غير ذلك .

لقد سلبت هذه الترجمة (المراجعة) النص الاصلي ليس فقط نصف معطياته ومعلوماته التي ضمنها صاحبه فيه ، وانما الحيويـة والغنـى والنكهة الخاصة بالكتابة الانكليزية عن موضوع شائق وشائك يتعلق بالامة القابعة وراء بحر المانش ــ أولئك الفرنسيين غريبي الاطوار . ولا شك أن هذا النوع من الترجمة لا يساعد بالتأكيد على نقل البنيويـة الى القارىء العربي ، وعلى حسن فهمه لها ، وبالتالي حسـن استخدامـه لمعطياتها في مباشرة مختلف الظواهر الثقافية التي ينتجها مجتمعه . إن النمر البنيوي بكل أناقته وقوته واندفاعه وخفته وجماله لم يتحول على يد السيد ماشطة والدكتور حلاوي الى هـرة وديعة أنيقة لعوب ، بل الى قنفذ منفر لا يرغب منظره في لمسه ، ولا ملمسه في رؤيته . إنـه تدجين للبنيوية صارخ في تفرده وبؤسه معا .

* * *

خاتمـة :

وربما كان على المرء في نهاية هذه الدراسة التطبيقية لجانب من جوانب عملية نقل البنيوية الى الفكر العربي المعاصر أن يشير الى أن الترجمة بوصفها قناة من قنوات الاتصال مع هذا النمط العلائقي في رؤية العالم ، سلاح ذو حدين . فعلى الرغم من أنها واحدة مـن أهم سـبل انتقـال النظريات والافكار من ثقافة الى أخرى ، مـن أمة الى أخرى ، من شخص الى آخر ، الا أنها يمكن أن تكون كذلك من أهم وسائل نشر سـوء الفهم ، وسوء الافادة ، وبالتالي سوء التوظيف . ذلك أن كل كتاب مؤلف في لغة ما انما هو جزء من الثقافة المدونة بهذه اللغة .وهو لهذا محكوم بجملة محددات كبرى ، تتضـافر فيما بينهـا لتصوغ أفكاره ولغته ، مضمونه وشكله ، رسالته واستراتيجياته في نقل هذه الرسالة الى القارىء. وربما كان من أهم محدوات الفكـر البنيوي :

* اللغويات الحديثة modern Linguistics

* الشكلية الروسية Russian Formalism

* البنيوية التشكيلية Czech Structuralism

وتفاعلات الفكر الفرنسي في القرن العشرين مع هذه المحددات ــ هذا التفاعل الذي تجلى في مختلف ضروب المعارف الانسـانية الحديثـة : الانثروبولوجيا ، التحليل النفسي ، علم الاجتماع، التأويل ، نظرية الادب والنقد .

والحقيقة أن الامثلة المختلفة المقبوسة من العينات الثلاث التي نوقشت في القسم الثاني من هذه الدراسة شاهد بين على انه بمقدار وقوف المترجم على هذه المحددات واستيعابه لها ، كانت درجة فهمه للبنيوية (مفترضين ضمنا أن جميع المترجمين لا يقدمون على نقل أي نص ما لم يكونوا متفقين للغته ، وللغة التي ينقلونه اليها) ، ودرجة قدرته على نقلها الى العربية نقلا أمينا دقيقا واضحا ومبنيا . فالثقافة في النهاية إنتاج ثقافي يعكس في خاتمة المطاف ما يوظف فيه من وقت وجهد . فآت ، اللهم ، المترجمين المزيد منها ، حتى نفيد من عملهم ــ هذا العمل الذي هو في جوهره إيثار في إيثار . ذلك أن النوايا الطيبة وحدها لا تكفي القارىء الذي يتوجهون بترجماتهم اليه . فهو أناني تعنيه أولا وآخرا فائدته ووقته. وأي القراء المهذب .

جامعة دمشق

كانون الاول ١٩٨٧

* * *

هوامش

(١) د. جابر عصفور ، « تعريف بالكتاب » ، في إديث كيروزيل ، عصر البنيوية : من ليفي شتراوس الى فوكو ، ترجمة جابر عصفور ، الطبعة الثانية ، دار قرطبة للطباعة والنشر ، الدار البيضاء ، ١٩٨٦ (ص ٥) .

(٢) راجع ، من أجل الاطلاع على جزء من هذه النصوص ، والكتب والمقالات المترجمة والمؤلفة :
د. عبد السلام المسري .
ــ « بيبلوغرافيا الدراسات الاسلوبية والبنيوية » في كتابه :
الاسلوبية والاسلوب ، طبعة منقحة ومشفوعة ببيبلوغرافيا الدراسات الاسلوبية والبنيوية ، الدار العربية للكتاب ، طرابلس ــ تونس ، ١٩٨٢ ، ص (٢٦١ ــ ٢٧٦) .
ــ « الدليل البيليوغرافي » في كتابه :
النقد والحداثة ، مع دليل بيليوغرافي . دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص (١٣٥ ــ ٢٢٤) .
والبيليوغرافيا التي يعدها صاحب هذه السطور والتي ستظهر في عمل مستقل عن المؤثرات الاجنبية في النقد العربي الحديث .

(٣) انظر على سبيل المثال « البنيوية والنقد العربي القديم » (ندوة شارك فيها كل من د. حسام الطيب ، د. عبد النبي اصطيف ، د. فايز الداية ، د. نعيم اليافي) ، في :
الموقف الادبي (دمشق) ، عدد خاص : تراثنا النقدي ، الاعداد ٢٨١ ــ ١٨٣ ايار ــ تموز ، ١٩٨٦ ، ص (٢٥٣ ــ ٢٨٢) .

(٤) انظر
Edward W. Said,
The World, the Text and the Critic,
Harvard University Press, Cambridge, Massachusetts, 1983, p. 226.

(٥) انظر د. محمد عبد الحي ، « أنشودة المطربين إليوت وشيللي والتراث العربي » ، المعرفة (دمشق) ، السنة ١٨ ، العدد (٢١٢) ، تشرين الاول ١٩٧٩ ، ص (٨٦) .

(٦) وهو ترجمة لكتـاب Robert Scholes,
Structuralism in Literature,
Yale University Press, New Havan and London, 1974.

(٧) وهو ترجمة لكتـاب Edith Kurzweil,
The Age of Structuralism : Lévi - Strauss to Foucault,
Columbia University Press, New York, 1980.

(٨) وهو ترجمة لكتـاب Terence Hawkers,
Structuralism and Semiotics,
Methuen, London, 1977.

(٩) انظر Jonathan Culler,
Structuralist Poetics : Structuralism, Liguistics and the Study of Literature,
Routledge and Kegon Paul, London and Henley, 1975.

(١٠) أنظر ، للمزيد من الاطلاع على تاثير الفكر النقدي الاوربيفي النقد الامريكي الذي تلا فترة سيادة النقد الجديد، كتـاب : Frank Lentricchia,
After the New Criticism,
Methuen, London, 1983.

(١١) Robert Scholes,
Semiotics and Interpretation,
Yale University Press, New Havan and London, 1982.

(١٢) Robert Scholes,
Textual Powers : Literary Theory and the Teaghing of English,
Yale University Press, New Havan and London, 1985.

(١٣) تشير جميع الارقام الواردة بين قوسين الى صفحات الكتاب المعني بالمناقشة ، والذي سبقت الاشارة اليـه مفصلا فيما تقدم من هوامش .